الشُّهُبُ السَّلفيَّة

على

الشُّبهَة الخَلفيَّة في عَدمِ ذكرِ مَعايبِ الميتِ المبتدع بين البَريَّة

بقلم

نعمان بن عبد الكريم الوتر

أهم ما تضمنته هذه الرسالة:

١: الرد على القائلين: إنه إذا مات المبتدع فلا يجوز ذكرُ بِدَعِهِ، وضلالاتهِ عند موته، ووقت عزائه، وأن ذلك ليس من المروءة، ومكارم الأخلاق.

٢: الرد على استدلالهم بموقف شيخ الإسلام ابن تيمية من ابن مخلوف عند موته.

٣: ذكر تناقضاتهم وشماتتهم بموت خصومهم وإن كانت خصومتهم معهم على الدنيا.

٤: ذكر الأسباب التي جعلت أهل السنة يحذرون من ضلالات، وانحرافات رؤوس أهل ابدع عند موتهم.

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أما بعد:

فهناك من يقول: إن بيان مخالفات الشخص، وانحرافاته، أو بدعه وضلالاته عند موته ليس من الدين، ولا من مكارم الأخلاق، ولا من المروءة.

والجواب، ومن الله نستمد التوفيق والسداد:

أولا: لا يجوز للمسلم العاقل أن يقول على الله بلا علمٍ، ولا ينسب للدين ما ليس منه، ولا لمكارم الأخلاق والمروءة ما هي في منأىً عنه، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾.

ثانيا: ذكر مساوئ الميت ومخالفاته للشرع عند موته جائز شرعا، دلَّت عليه سنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-، وعمل الصحابة والسلف الصالح، رضوان الله عليهم أجمعين لا سيما إذا كان مشهوراً ببدعته وضلالاته أو داعياً إليها.

أما السنة وعمل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فإليك بعض ما ورد في ذلك:

١) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: مُرَّ بجنازة، فأُثنِيَ عليها خيرًا، فقال نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وجبت، وجبت، وجبت»، ومُرَّ بجنازة فأُثنِيَ عليها شرًّا، فقال نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وجبت، وجبت، وجبت»، قال عمر: فدًى لك أبي وأمي، مُرَّ بجنازة، فأُثنِيَ عليها خيرًا، فقلت: «وجبت، وجبت، وجبت»، ومُرَّ بجنازة، فأُثنِيَ عليها شرًا، فقلت: «وجبت، وجبت، وجبت»؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من أثنيتم عليه خيرًا وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شرًا وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض». [أخرجه مسلم برقم ٩٤٩]

والشاهد من الحديث أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أثنوا على الجنازة شرًا، وذلك بذكر معايب الميت ومساوئه، بحضرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم ينكر عليهم، ولم يقل لهم: إن هذا لا يليق بالمروءة ومكارم الأخلاق والشيم، وهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بعثه الله ليتمم صالح الأخلاق.

ولم يقل لهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ليس هذا وقته وأوانه؛ لأن أهل الميت ومحبيه في مصيبة وحزن بسبب فقده؛ فذكر معايبه يزيدهم حزنًا، مع أنه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أرحم الخلق بالخلق وأعظمهم إحسانا، بل أقرهم على ذلك، بل زاد على ذلك قائلاً: وجبت، وجبت، أنتم شهداء الله في أرضه.

وللعلماء كلام كثير في الاستدلال بهذا الحديث على جواز ذكر معايب الميت وانحرافاته لتحذير الناس منها ومن ذلك:

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه على مسلم (٧/ ٢٠):

فإن قيل: كيف مكنوا بالثناء بالشر مع الحديث الصحيح في البخاري وغيره في النهي عن سبِّ الأموات؟

فالجواب: أن النهي عن سب الأموات هو في غير المنافق وسائر الكفار، وفي غير المتظاهر بفسق أو بدعة، فأما هؤلاء؛ فلا يحرم ذكرهم بشرٍّ للتحذير من طريقتهم، ومن الاقتداء بآثارهم، والتخلُّقِ بأخلاقهم، وهذا الحديث محمول على أن الذي أثنوا عليه شرا كان مشهورا بنفاق أو نحوه مما ذكرنا. هذا هو الصواب في الجواب عنه، وفي الجمع بينه وبين النهي عن السب، وقد بسطت معناه بدلائله في كتاب الأذكار. انتهى

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في الأذكار (ص ٢٨٠ ـ ٢٨١):

قال العلماء: يحرم سب الميت المسلم الذي ليس مُعلِنًا بفِسقِهِ، وأما الكافر والمُعلِنُ بفِسقِهِ من المسلمين ففيه خلاف للسلف، وجاءت فيه نصوص متقابلة، وحاصله: أنه ثبت في النهي عن سب الأموات ما ذكرناه في هذا الباب، وجاء في الترخيص في سبِّ الأشرار أشياء كثيرة، منها ما قصه الله علينا في كتابه العزيز، وأمرنا بتلاوته وإشاعة قراءته؛ ومنها أحاديث كثيرة في الصحيح، كالحديث الذي ذكر فيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمرو بن لُحَيٍّ، وقصة أبي رغال، الذي كان يسرق الحاج بمحجنه ، وقصة ابن جدعان وغيرهم، ومنها الحديث الصحيح الذي قدمناه، لما مرت جنازة فأثنوا عليها شرًّا، فلم ينكر عليهم النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- بل قال: "وجبت".

واختلف العلماء في الجمع بين هذه النصوص على أقوال، أصحها وأظهرها: أن أموات الكفار يجوز ذكر مساويهم، وأما أموات المسلمين المعلنين بفسق أو بدعة أو نحوهما فيجوز ذكرهم بذلك، إذا كان فيه مصلحة لحاجة إليه، للتحذير من حالهم، والتنفير من قبول ما قالوه، والاقتداء بهم فيما فعلوه، وإن لم تكن حاجة لم يجز؛ وعلى هذا التفصيل تُنَزَّلُ هذه النصوص، وقد أجمع العلماء على جرح المجروح من الرواة، والله أعلم.

وهناك نقولات أخرى عن علماء السلف تركتها اختصارا.

وقال سماحة الإمام ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الحلل الإبريزية من التعليقات البازية على صحيح البخاري" (١/ ٤٢٧): في تعليقه على حديث عائشة - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا - قالت: قال النبي - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «لا تسبوا الأموات، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا».

السب إذا كان لبيان التحذير كالمبتدع؛ لئلا يُقتَدى به فلا حرج، فيكون من باب التحذير، لا من باب السب. انتهى

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "شرح رياض الصالحين" (٦/ ٢٣٠):

لنا الحق أن نسب الأموات الكافرين، الذين آذوا المسلمين وقاتلوهم، ويحاولون أن يفسدوا عليهم دينهم، أو مصلحة شرعية، مثل أن يكون هذا الميت صاحب بدعة ينشرها بين الناس، فهنا من المصلحة أن نسبه، ونحذر منه ومن طريقته؛ لئلا يغتر الناس به. انتهى

وسئل رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في لقاء الباب المفتوح (٨٠/ ١٨، بترقيم الشاملة آليا):

فضيلة الشيخ! كيف تجمع بين نهي النبي-صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- عن الغيبة، ونهيه عن سب الأموات، وبين قوله: (وجبت)، وقوله: (أنتم شهداء الله في الأرض)؟

الجواب:

الجمع بينهما: أن ما قاله الصحابة- رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ- حين أثنوا شرًّا على إحدى الجنازتين وخيرا على الأخرى هو مجرد الخبر، الذي وقع تصديقه من النبي- صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-، والقصد منه التحذير، والغيبة وهي ذكر الإنسان بما يكره ليست حراما في كل حال، في بعض الأحيان تكون حراما، وفي بعض الأحيان تكون مباحة، وفي بعض الأحيان تكون مطلوبة، أليست فاطمة بنت قيس جاءت إلى النبي-صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- تستشيره في أبي جهم وأبي سفيان وأسامة بن زيد، كلهم خطبوها، فقال لها: "أما أبو سفيان فرجل شحيح، وأما أبو جهم فضراب للنساء، انكحي أسامة" ومعلوم أن وصف أبي سفيان في غيبته بأنه رجل شحيح غيبة، وكذلك وصف أبي جهم بأنه ضرَّاب للنساء، أو لا يضع العصا عن عاتقه هو أيضا غيبة، لكن فيها مصلحة، فالغيبة في بعض الأحيان تكون مطلوبة، وبعض الأحيان تكون مباحة، قد يقصد بها مجرد التعريف مثل: الأعرج والأعمش، وما أشبه ذلك من كلام العلماء المحدثين الذي تسمعهم في الأسانيد كثيرا، هذه مباحة؛ لأنه يقصد بها التعريف، وإذا قصد بها النصيحة صارت واجبة، فهذا الذي ذكره الصحابة -

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - يريدون بذلك الإخبار عما حصل للتحذير منه إن كان شرًّا، والترغيب فيه إن كان خيرا. انتهى

٢) عن ابن عباس، عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: لما مات عبد الله بن أبي ابن سلول، دعي له رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- ليُصَلِّيَ عليه، فلما قام رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- وَثَبتُ إليه، فقلت: يا رسول الله أتصلي على ابن أُبَيٍّ، وقد قال يوم كذا : كذا وكذا، قال: أُعَدِّدُ عليه قوله، فتبسم رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- وقال: «أَخِّر عني يا عمر» فلمَّا أكثرت عليه قال: «إني خُيِّرتُ فاخترتُ، لو أعلم أني إن زِدتُ على السبعين يُغفَرْ له لَزِدتُ عليها» قال: فصلى عليه رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - ثم انصرف، فلم يمكث إلا يسيرا، حتى نزلت الآيتان من براءة: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ إلى قوله: ﴿وَهُمْ فَٰسِقُونَ ۝٨٤﴾، قال: فعجبت بعدُ من جُرأتي على رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - والله ورسوله أعلم. [أخرجه البخاري برقم ٤٦٧١].

والشاهد من الحديث: أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذكر معايب عبد الله بن أُبَيٍّ عند موته، وقبل أن يُصَلَى عليه، وألحَّ على النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- بترك الصلاة عليه، فقابله النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- بالتبسم، ولم ينكر عليه، ولم يقل له: ليس هذا بلائق، وليس هذا وقته، أو أن ذلك يؤذي ويؤلم أهله وعشيرته، ومع أن ابن أُبَيٍّ كان رأس المنافقين، إلا أنه كان يظهر الإسلام، ويصلي ويصوم، ويخرج مع النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- للغزو، وكانت تجري عليه أحكام الإسلام في الظاهر.

نماذج من مواقف وأقوال أئمة السلف في الفرح بموت رؤوس البدع والضلال والشر:

١) قال سلمة بن شبيب: كنت عند عبد الرزاق، فجاءنا موت عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد، وذلك في سنة ست ومئتين، فقال عبد الرزاق: الحمد لله الذي أراح أمة محمد من عبد المجيد. انتهى [تهذيب الكمال في أسماء الرجال (١٨/ ٢٧٥)]

وكان عبد المجيد بن أبي رواد من رؤوس أهل البدع، وكان ضعيفا في الحديث.

٢) عن إسماعيل بن حماد بن أبي سليمان عن أبيه قال بشَّرَنا إبراهيم بموت الحجاج فبكى وقال: ما كنت أرى أن أحدا يبكي من الفرح. [العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد (٣/ ٤٩٠)].

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في البداية والنهاية (١٢/ ٥٥١):

روى عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن طاووس، عن أبيه أنه أُخبر بموت الحجاج مرارًا، فلما تحقق وفاته قال: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

وروى غير واحد أن الحسن لما بُشِّر بموت الحجاج سَجَدَ شكرًا لله تعالى، وكان مختفيًا فَظَهَرَ، وقال: اللَّهُمَّ أمته فأذهب عنا سنته. وقال حماد بن أبي سليمان: لما أَخبَرتُ إبراهيم النخعي بموت الحجاج بكى من الفرح. وقال أبو بكر بن أبي خيثمة: ثنا سليمان بن أبي شيخ، ثنا صالح بن سليمان، قال: قال زياد بن الربيع الحارثي لأهل السجن: يموت الحجاج في مرضه هذا في ليلة كذا وكذا. فلما كانت تلك الليلة لم ينم أهل السجن فرحا، جلسوا ينتظرون حتى سمعوا الواعية. انتهى

أقول وبالله التوفيق: هذه البشارات والفرح والبكاء بموت الحجاج إنما كانت بسبب ظلمه وفسقه وسفكه للدماء، وذلك دون البدع والضلالات التي تُرَوَّجُ باسم الدين، ويَضِلُّ بها من لا يعلمه إلا الله من المسلمين.

٣) قال الحسن بن عمرو المروزي: سمعت بشر بن الحارث، يقول: جاء موت هذا الذي يقال له: المِرِّيسي، وأنا في السوق، فلولا أنه كان موضع شهرة لكان موضع شكر وسجود، الحمد لله الذي أماته هكذا قولوا. انتهى [تاريخ بغداد (٧/ ٥٣١)].

٤) قيل للإمام أحمد: الرجل يفرح بما ينزل بأصحاب ابن أبي دؤاد، عليه في ذلك إثم؟ قال: «ومن لا يفرح بهذا؟». [السنة لأبي بكر بن الخلال (٥/ ١٢١)].

٥) لما جاء نعي وهب القرشي -وكان رجلاً ضالاً- لعبد الرحمن بن مهدي قال: الحمد لله الذي أراح المسلمين منه. انتهى [لسان الميزان لابن حجر (٦/ ٢٣٣)].

٦) قال أبو شامة: وفي هذه السنة (٥٦٨): توفي ملك الرافضة والنحاة: الحسن بن صافي بن بزدن التركي، كان من أكابر أمراء بغداد المتحكمين في الدولة، ولكنه كان رافضيًا خبيثًا متعصبًا للروافض، وكانوا في خفارته وجاهه، حتى أراح الله المسلمين منه في هذه السنة في ذي الحجة منها، ودفن بداره ثم نقل إلى مقابر قريش؛ فلله الحمد والمنة.

وحينَ مات، فَرِح أهل السنة بموته فرحا شديدا، وأظهروا الشكر لله، فلا تجد أحدا منهم إلا يحمد الله. انتهى [البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (١٢/ ٣٣٨)].

فإن قال قائل:

فأين أنتم من شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ وموقفه النبيل من ابن مَخلوفٍ عند موته، وقد كان من أَشَدِّ أعدائهِ وأَلَدِّ خُصومه؟

فقد قال تلميذه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مدارج السالكين (٢/ ٣٢٩):

وجئت يوما مبشراً له بموت أكبر أعدائه، وأشدهم عداوة وأذىً له، فنهرني وتنكر لي واسترجع، ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزاهم، وقال: إني لكم مكانه، ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه، ونحو هذا من الكلام؛ فسُرُّوا به ودَعَوا له، وعَظَّموا هذه الحال منه، فرحمه الله ورضي عنه. انتهى

فالجواب، ومن الله -وحده- أستمد التوفيق والصواب:

أن من تأمل الكلام بسياقه وسباقه وجَدَ أنه لا تعارض بين الأمرين، فشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ إنما عفا عن حقه الشخصي، وواسى أهله، فقد كان من سماحته - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - أنه لا ينتقم لنفسه؛ ولذلك عندما أتاه تلميذه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ يبشره بموته أنكر عليه، فابن القيم إنما أظهر لشيخه فرحه بموتِ خصمٍ من خصومه، لا فرحَهُ بموته لكونه أحد رؤوس البدع والضلال، وإلا فالخبير بسيرة شيخ الإسلام وكتبه، ودفاعه عن الحق وأهله، يجد أنه كان من أكثر العلماء رداً على أهل البدع والأهواء، وأعظمهم تعريةً لباطلهم، وكشفاً لتلبيساتهم، وأجودهم منازلة لهم، وتحذيرا من ضلالهم بعلم وعدل، وكتبه التي ملأت الدنيا خير شاهد على ذلك.

وأزيد الفرحين - بموقف شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، المستغلين له لتمييع قضايا الولاء والبراء، ومداهنة أهل الباطل - من الشعر بيتا كما يقال، بل أبياتا، فأقول وبالله أستعين:

١) لماذا تنتقون من مواقف بعض العلماء وكلامهم ما يوافق أهواءكم وتتركون ما لا يوافق أهواءكم؟

فكم لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ من كلام ومواقف في حق أهل البدع والأهواء نراكم تضربون عنه صفحاً، وتغضون الطرف عنه.

٢) هناك كلام ومواقف في هذا الباب لمن هم أجلُ قدراً وأقدمُ زمناً من شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ مما نقلت بعضه سابقا فلماذا لم ترفعوا به رأسا ولم تروا بمخالفته بأساً؟

٣) هل حضر شيخ الإسلام لابن مخلوفٍ مجلس عزاء، أو ألقى في رثائه قصيدة عصماء؟!

٤) هل ألقى كلمة في مجلس عزائه، وكال له المدح والثناء، ودافع عنه وغرَّ الناس به كما فعل بعض هؤلاء؟!

٥) هل صَحَّحَ شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ لابن مخلوفٍ باطلاً أو أَقرَّ له بدعةً بعد موته عند أهله أو عند الناس؟!

ألا فليَستَحِ أناسٌ من أعمالهم، وليتقوا الله في أنفسهم، وفيمن حولهم!

ألا فأفٍّ للمُلبِّسين الذين يحرفون الكلم عن مواضعه، ويبغونها عوجا!

البواعث لأهل السنة على التحذير من انحرافات المنحرفين عند موتهم خاصة

أهم بواعث علماء أهل السنة والجماعة - سلفاً وخلفاً - على المبادرة إلى ذكر بعض مخالفات وبدع وضلالات موتى أهل البدع، الذين كان لهم شُهرةٌ، ولهم أتباعٌ، ورواجٌ في المجتمع من وجهة نظري ما يلي:

أولاً: التأسي بالنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وصحابته والسلف الصالح كما سبق بيانه.

ثانياً: القيام بواجب النصيحة لعامة المسلمين التي هي من الدين؛ ابتغاء مرضاة الله، وفي الحديث الصحيح: "من أسخط الناس برضى الله رضي الله عنه، وأرضى عنه الناس".

ويتأكدُ هذا في من يموتُ من المشهورين بالبدعِ والضلالاتِ، أو من الدعاةِ إلى البدعِ والضلالاتِ والمنكراتِ الذين يموتون وتبقى بدعُهم وانحرافاتُهم يتلقفها الناس عنهم، بخلافِ المغمورين الذين يموتون وتموتُ معهم بدعهم، أو لا وزن لهم بين الناسِ، فالأمر في حقهم أهون من الصنف الأول.

ثالثاً: الإحسان إلى ذلك الميت خاصة وإلى المسلمين عامة وبيان ذلك من وجهين:

١) أن الميت المشهور الذي له وزن في المجتمع، وله أتباع ،يقوم أتباعه ومحبوه عند موته بكيل المدائح والثناء عليه، وتعداد مناقبه ومفاخره، ومآثره ومنجزاته ـ مع أن ذلك من النعي المنهي عنه شرعا ـ فيغتر به من يسمع تلك الهالة الإعلامية والدعائية، ويراه محل إعجاب وافتخار واقتداء؛ فتنطلي عليه بعض بدعه وانحرافاته، فيقع فيها؛ فيزداد إثم ذلك الميت بزيادة أتباعه على الباطل؛ لأن من سَنَّ في الإسلام سُنَّةً سيئة فعليه وزرها ووزر من تبعه إلى يوم القيامة، لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئا؛ فلا يحب أهل السنة - الذين هم أعلم الناس بالحق وأرحمهم بالخلق - أن تزداد أوزار ذلك الميت المسلم.

٢) الإحسان إلى عامة الناس ببيان حال الميت؛ لئلا يغتروا بالهالة الإعلامية، وكثرة مجالس العزاء، وكيل المدائح شعرا ونثرا، فيظنوا أن ذلك الميت من أعلام الهدى ومصابيح الدجى، وأنه على نسيج السلف الصالح؛ فيسيروا بسيره، ويسلكوا طريقه، وتنتشر البدع والمخالفات في المجتمع، وتتوسع دائرتها؛ فيموت شخص ويخلفه على انحرافه عدد كبير من الناس، والدين النصيحة.

رابعاً: تفويت الفرصة على من يستغل تعاطف الناس بسبب مصيبة الموت، وما يصاحب ذلك من الاجتماعات والندوات وكيل المدائح؛ للترويج لبعض البدع والضلالات، والتسويق لبعض الأفكار، واصطياد بعض الشباب والشخصيات بطرق ماكرة وخفية، لا يتنبه لها كثير من الناس؛ فكان لزاما على أهل العلم والعدل والرحمة والحرص على سلامة المجتمع - عقديا وفكريا- بيان بعض ما كان عليه ذلك الميت الذي يشار إليه بالبنان؛ ليحذر من أراد الله له الخير من الوقوع في تلك الانحرافات.

ولذلك؛ فلا يجوز لأهل العلم والخير المشاركة في المدح والثناء والإشادة؛ لأنهم سيغرِّرون بالناس، ومن أراد تعزية أقارب الميت عزَّاهم بدون مشاركة في الدعايات الإعلامية.

فإن قال قائل:

لماذا لا تقتدون بأئمة السلف والخلف، كالمِزِّي، والذهبي وابنِ كثيرٍ وابنِ حجرٍ والشوكاني وغيرهم ممن أَلَّفَ في كتبِ التراجِمِ والتواريخِ؛ فإنهم يذكرون الرواةَ والعلماءَ، ويذكرون محاسنهم ومساوئهم؟

فالجواب، والله الموفق للصواب:

أننا لو كنا نُترجمُ للعلماءِ والشخصياتِ الكبيرةِ، فقد نذكرُ بعضَ المحاسنِ مما قد يُحتاجُ إليه لغرضٍ صحيحٍ، حسب ما يقتضيه المقام، ومع ذلك فلابُدَّ من خلاصةٍ في بيانِ حالهِ لئلا يأتي من يغتر بتلك المحاسن، لكِنَّ مقامنا هنا مقامُ تحذيرٍ وبيانٍ للبدع والمخالفاتِ والضلالاتِ؛ للتحذيرِ منها، ومن الاغترارِ بأصحابها، ،كما هو شأن العلماء في كتب الجرح والتعديل، وكتب التحذير من أهل البدع والضلال، هذا مع ترحمنا على المسلمين منهم وسؤال الله العفو والتجاوز عنهم، ولو ذكرنا محاسنهم لفاتَ المقصودُ من التحذير، وعلى هذا دلتِ النصوصُ الشرعيةُ الكثيرةُ، وعليه دَرجَ السلفُ، وتبعهم أئمةُ الخلف، ولكن كثيراً من الناس لا يعلمون.

ولكنَّ أهلَ البدعِ والضلالِ يريدونها موازنةً فلا نعيبُ على مبتدعٍ إلا ونذكرُ ماله من محاسن.

فإن قال قائل: ليس هذا بوقت الخلافات بين المنتسبين للسنة؛ فهناك أعداءٌ كُثر، كُلٌّ منهم يتحين الفُرصةَ للقضاءِ عليكم جميعاً، وأنتم مشغولون ببعضكم، فهل تفقهون واقعكم وما يحاك لكم؟ أنتم في سفينة واحدة وهناك من يريد أن يغرقها بكم جميعاً.

فالجواب وبالله التوفيق من وجوه:

أولاً: هل الأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ، والأخذُ على يدِ من يريدُ خرقَ السفينةِ من الداخلِ ليغرقها قبل أن يغرقها العدو الخارجي يمنعُ من الحذرِ والاستعدادِ للعدو المشترك؟! أم أن ذلك من أخذِ الأهبةِ وإعدادِ العُدَّةِ؟!

ثانياً: إذا كنا في دارٍ كبيرةٍ حَصينةٍ وأبوابها مُغلقةٌ وأسوارها عاليةٌ، والعدو يحاصرنا من الخارج ولا يستطيع الدخول، ويوجدُ بيننا من يريدُ فتحَ الأبوابِ للعدو، وآخرون يحاولون هدمَ الأسوارِ من الداخل فأيهما أولى: أن ننشغل بالعدو الخارجي فقط ونترك من في الداخل يفتح الأبواب ويهدم الأسوار ليدخل العدو؟! أم الواجب أن ننشغل بالعدو ونُشدِّد الحراسةَ على الأبوابِ والأسوارِ ونأخذَ على يد من قد يَضُرُّنا أعظم الضرر؟!

ثالثاً: أليس من منهج الأنبياء وعمل الراشدين الخلفاء، ومن تبعهم بالصدق والوفاء، إنكار المنكرات والأخذ على أيدي السفهاء في السلم والحرب، والسفر والحضر، والشدة والرخاء؟

فهناك عشرات الأدلة والوقائع على ذلك، ولولا خشية الإطالة لما بخلت بإيرادها، وحسن وفادتها.

رابعاً: ألم يكن ترك التآمر بالمعروف والتناهي عن المنكر هو سبب لعن بعض الأمم السابقين على ألسنة أنبيائهم والمرسلين؟! قال الله تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩ ﴾.

خامساً: أليس السبب في كوننا خير أمة أخرجت للناس هو أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر وإيماننا بالله؟! قال الله تعالى: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ ﴾ فلماذا تطلبون منا ترك صمام الأمان، وسبب الخيرية بين الأنام، لشبهات ودعوات كأضغاث أحلام؟

سادساً: أليس المطلوب توجيه اللوم لمن يُحدِثُ في الدِّين، ويتنكب الصراط المستقيم، ويسير في ركب أعداء المسلمين؟! ويقال له: لا تَزِدِ الطين بِلَّةً والمرض عِلَّةً. فليس اللَّومُ على من لازمَ الثغور ولم يغُرَّهُ بالله الغرور.

سابعاً: هب أننا تركنا التحذير من البدع والضلالات، وسكتنا عن الأخطاء والزلات، فهل سننتصر بذلك على الأعداء؟! ويجتمع شملنا مع الفرقاء؟! وننتقل معهم من الجفاء إلى الصفاء؟! أم أننا سنكون أضعف، ومن أعدائنا جميعا أخوف؟!

ثامناً: بالنسبة لنا: فلن نُسَلِّمَ إخواننا الذين بغوا علينا سنينَ، وخالفوا السنة وهجروا سبيل السلف الصالحينَ، للأعداء البغضاء من اليهود والنصارى والزنادقة والمنافقين؛ بل هم أقرب إلينا منهم، وسنقف معهم في نصرة الحق والدين صفا واحداً، ونكون بإذن الله معهم في ذلك سيفا لا ينكسر ولا يلين، مع نصحهم، وبيان أخطائهم لأنها تضر بنا وبهم.

تاسعاً: قلنا ما سبقَ ليَعلمَ المخالفون واللائمون حقيقة الأمر، وأن أهل السنة لا ينطلقون في نصحهم ونقدهم وجميع مواقفهم إلا من منطلق الكتاب والسنة، فلا تؤزهم العواطف، ولا تدفعهم المصالح أيّاً كانت حزبية أو سياسية أو شخصية فالدِّينُ أولاً وآخراً مقصدهم، والحقُّ غايتهم، وهم مع ذلك أحرصُ الناس على جمع الكلمة على الحق والهدى، بالطرق الشرعيَّة، والمناهج السَّويَّة، وبما لا يعود على الجميع في دينهم ودنياهم بالضررِ فيا ليتَ قومي يعلمون.

وختامًا أقول:

إن الذين ينكرون ذكر معايب الميت وانحرافاته عند موته، وفي زمن التعزية بفقده، ويزعمون أن ذلك من التشفي يُرَدُّ عليهم من جهتين:

الأولى: أن أهل السنة لا يتشفون بموت أحد من المسلمين لمجرد موته؛ فالموت سبيلنا جميعا، نسأل الله حسن الخاتمة.

وقد قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

تمنى رجال أن أموت فإن أمُت	فتلك سبيل لست فيها بأوحد
فقل للذي يبقى خلافَ الذي مضى	تهيأ لأخرى مِثلها فَكأنْ قَدِ

ولكن أهل السنة يفرحون إذا مات أهل البدع؛ ليستريح الناس من شرِّهم وتلبيسهم وشبهاتهم، وفي الصحيحين أن رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: "مستريح ومستراح منه".

الثانية: أن كثيراً ممن يستنكرون ذكر بدع ومخالفات وضلالات بعض الموتى -عند موتهم، أو بعد موتهم- لغرض شرعي، وهو تحذير الناس من تلك الانحرافات- ويستعظمون ذلك، ويقولون جهلًا منهم: إن ذلك يخالف المروءة ومكارم الأخلاق والشِّيم، قد وقعوا فيما أنكروه بأقبح صُوَرِهِ، وأبشع مظاهره، وخذ مثالاً واحداً فقط على ذلك - لئلا يطول المقام - وإلا فالمتأمل في الواقع يجد عشرات الأمثلة المقززة، التي حدثت لغير غرض شرعي:

ففي عام ٢٠١١م، وفي ذروة ما يسمى بـ (ثورة الربيع العربي) في اليمن، أو (ثورة الشباب) التي كان يتزعمها، ويذكي نيرانها، ويستميت فيها: (الإخوان المسلمون)، فبينما هم في الساحة في صنعاء، وبعد صلاة الجمعة، وفي شهر من الأشهر الحرم حدثت جريمة نكراء - بكل المقاييس - وهي تفجير بيت من بيوت الله أثناء صلاة الجمعة، وفيه ولي الأمر المسلم: رئيس الدولة، وكبار رجال دولته من مدنيين وعسكريين، وراح ضحية ذلك العمل الإجرامي البشع عدد كبير من الضحايا، بين قتيل وجريح، بما فيهم رئيس الجمهورية، الذي أقسم خصومه الأيمان المغلظة على هلاكه في ذلك الحادث، وعَلَّقَ كثيرٌ منهم طلاقَ امرأته بنجاته، وقد فُجِعَ وحزن بسبب ذلك الحادث الإجرامي مئات الألاف من المسلمين إن لم نقل ملايين.

وأما المعتصمون في الساحات ناهيك عن غيرهم فحدث ولا حرج، لقد حصلت شماتة عظيمة وفرحة عارمة، وتشفيات واسعة، ضجت ساحات الاعتصامات بالتكبير والهتافات، وَرَقَصَ الكثير طربًا، ونحروا الذبائح جذلاً، وتم تبادل التهاني والتبريكات، وانطلقت من خيام النساء وكثير من البيوت الزغاريد والضحكات، مع أن خصومَتَهُم معه سياسية دنيوية، لا دينية؛ فماذا نقول بعد كل ذلك إلا كما قال الله تعالى: ﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦ ﴾.

هذا، وعند أهل السنة البراهين الساطعة والحجج الدامغة التي تثبت صدق ما يدَّعونه على خصومهم من المخالفات والبدع والضلالات و﴿ لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ ٣٨ ﴾ ﴿ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ٢٢٧ ﴾ وحسبنا الله، ونعم الوكيل، نعم المولى، ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وكتبه:

نعمان بن عبد الكريم الوتر

٢٣ شوال لسنة ١٤٤٥هـ